دور الخطاب الديني في التصدي للإرهاب

تأليف
دكتور / كامل حنفي محمد عيسى
مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية أصول الدين بالقاهرة
جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالي:

"وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل علي الله إنه هو السميع العليم"

صدق الله العظيم
سورة الأنفال الآية ٦١

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين , الداعي إلى دار السلام , والصلاة والسلام علي رسول الله محمد أبن عبد الله الهادي إلى صراط الله المستقيم وعلي اله وصحبة أجمعين ... وبعد

فان محور البحث وفرضيته التي يدور حولها لفت الأنظار إلي أهمية الخطاب الديني الإسلامي في التصدي للظاهرة الإرهابية .

وإذا سلمنا بان بعض الحركات الإرهابية تدثرت بثوب الدين لاكتساب ثقة الجمهور والسيطرة عليه , ومكنها من ذلك مساندة بعض الوسائل الإعلامية والدوائر السياسية بإشاعة أن الظاهرة الإرهابية صناعة دينية دون تمييز بين الحق والباطل إضافة إلى استدعاء الدين لمحاربة الإرهاب لأمكننا أن ندرك أهمية الخطاب الديني الإسلامي في الحد من الظاهرة الإرهابية ، بل والقضاء عليها صيانة للإنسان وحماية للقوى الإبداعية من الضعف ووصولا إلى حياة أرقى وأفضل للإنسانية جمعاء.

وللخطاب الديني دور في التصدي للإرهاب أراه معتمدا على:

أولا: البيان و التبيين لجذور الإرهاب .

ثانيا: التحذير من أضرار الإرهاب ومخا طره على الفرد و الأمة .

ثالثا: تضييق المجالات التي يتولد فيها الإرهاب.

رابعا: فتح كل المجالات أمام غريزة القوة لدى الإنسان كي تتفاعل مع قواه الأخرى وقوى الآخرين للإبداع والارتقاء ألي أقصى درجات الكمال الإنساني تحقيقا للسلام الإنساني مع النفس والعالم.

وعلى ذلك فان الدور المنوط بالخطاب الديني الإسلامي حال تصديه للظاهرة الإرهابية مستمد من الواقع بهدف تحليله مع قصد إلى معرفة الأسباب المؤثرة في الواقع بهدف وضع خطة مستقبلية مبنية على أسس علمية صحيحة للتعامل مع هذا الواقع تحقيقا للخير العام ونشرا للسلام بين شعوب العالم وصيانة للحضارة الإنسانية من عوامل التخلف والانهيار.

وقد ضمت هذه الرسالة مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة :

أما المقدمة: فتشتمل علي بيان الإشكالية في تعريف الإرهاب , ثم بيان المقاصد المبتغاة من بيان مفهوم الإرهاب في الإسلام .

والمبحث الأول : يشتمل علي بيان مفهوم الإرهاب في الإسلام .

المبحث الثاني : يبين اختلاف مفهوم الإرهاب في الإسلام عن مفهومه عند الآخر .

المبحث الثالث : بيان أهم أسباب العنف في المجتمعات الإسلامية .

المبحث الرابع : بيان لأهم وسائل علاج العنف في المجتمعات الإسلامية .

ثم نتائج البحث وثبت بالمراجع .

والله تعالي المستعان ومنه التوفيق والسداد .

مقدمة البحث

الإرهاب اصبح وصفا أو مصطلحا جاهزا يوصف به كل من يمارس عملا – بالقوة أو الفعل – من شانه أن يهدد مصلحة الأخر أم لا ، ولهذا قد يوصف ب " الإرهاب " من يدافع عن أرضه المغتصبة لاستردادها ، أو يدافع عن ماله المغتصب وعلي ذلك فالفلسطينيون إرهابيون والإسرائيليون ضحية للإرهاب ، واللبنانيون (حزب الله) إرهابيون و إسرائيل ضحية له[١]، تستثير العطف والمساعدة من العالم الحر المتحضر (الأقوياء) ، ومن يقاوم الخائن لامته ببيعها لأعدائها " إرهابي " والخائن ضحية له يستحق الشفقة وان كان من يمارس العنف فى الحالات السابقة لا يعتبر إرهابيا عند المسلمين بل شجاعا وان قتل دون ماله وعرضه – فى سبيل الله – فهو شهيد .

وعلى ذلك فان مفهوم " الإرهاب " في الفكر المعاصر لا يزال أمرا صعبا وان اتجهت غالبية التعاريف الى أن الإرهاب هو استعمال للعنف أو تهديد به دون تمييز بين ظالم ومظلوم ، وصاحب حق ومغتصب مما كان له اكبر الأثر في الإبقاء على مشكلة العنف بل واتساع نطاقها بين البشرية[٢].

وأرى انه من هذه النقطة يبدأ الخطاب الديني الإسلامي في ممارسة وأداء دوره للتصدى لظاهرة " الإرهاب " خاصة إذا تبين لنا أن الدين الإسلامي فيه نصوص قرآنية تشير إلي الإرهاب بل وتحث على استخدام الوسائل التى تسببه وتؤدى أليه!

ويري الباحث أن يبين – بداية – مقصد الخطاب الديني الإسلامي من تعريف الإرهاب

---

(١) الإرهاب والتهديد والرد عليه – أريك موريس و آخر ص ٣٠ ترجمة د/ احمد حمدى محمود – الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) للمزيد حول هذا الاتجاه يراجع على سبيل المثال :

ا- المرجع السابق

ب- كابوس الإرهاب وسقوط الأقنعة – إبراهيم نافع – ص ٣٣ –الأهرام للترجمة والنشر ط ١-١٩٤٥ م.

ج- التطرف والإرهاب من منظور علم الاجتماع – د/ حسن عبد الحميد رشوان – ص ٤٢ دار المعرفة الجامعية سنة ١٩٩٧ م.

د – مجلة الديمقراطية – العدد الخامس سنة ٢٠٠٢ م – ملف خاص (ما بعد أحداث ١١ سبتمبر – مركز الدارسات السياسية والاستراتيجية-الأهرام.

عندما يتجه الخطاب الديني الإسلامي نحو تحديد مفهوم" الإرهاب" لا يقصد تبرئة الإسلام من تهمة الإرهاب كما هو الحال في اغلب ما يدور على السنة الكتاب والمثقفين وانما يقصد إلى :

١- كشف الغمة عن المسلمين ، وإزالة الظلام الذى يلفهم ،مما يؤدى الى الإضرار بهم وبغيرهم وبذلك تستبين سبيل المجرمين قال تعالى:"وكذلك تفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين"[١]. وبهذا نساهم في حماية أنفسنا ومجتمعاتنا من شراك تنصب لها، ومكائد تحاك ضدها، ومؤامرات تدبر لها بليل .

٢- إخراج الأمة من المأزق الذى هوت إليه حيث تم وصف بعض أبنائها بالإرهاب مع انهم يحاولون استرداد أرضهم المسلوبة وكرامتهم المهانة من أيدي المعتدى الظالم (إسرائيل) في فلسطين ، لبنان ، (روسيا) في الشيشان ، (الهند) في كشمير و في كثير من الدول الإسلامية .

ولما شعرت الآمة بالوقوع فى المأزق الذى شاركت فى حفره بأيديها حيث ساندت الغرب وأيدته فى حملته ضد "الإرهاب" – كما يراه – وأنها توشك أن تخسر كل شئ بدأت تصرخ – على كل المستويات " لابد من التمييز بين الإرهاب وبين المقاومة المشروعة ضد المحتل " !

٣- أن كان الخطاب الديني الإسلامي موجها في الأساس الى امتنا الإسلامية والعربية ،فهو موجه -ضمنا - الى كل من يبحث عن الحقيقة للخروج من دوامة العنف والنجاة من أثارها المدمرة للبلاد والعباد دون تفرقة بين بلد وبلد أو شعب و أخر.

قال تعالي " هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون إن كنتم مؤمنين "[٢] .

وقال تعالى: " واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ... "[٣]

المبحث الأول : مفهوم الإرهاب في الإسلام .

أ- <u>الدلالات اللغوية لمادة " رهب "</u> :

بعد بيان مقصد الخطاب الديني الإسلامي من تعريف الإرهاب بوسع الباحث أن يمد نظره إلي القران الكريم ليجمع الآيات الواردة فيه حول " الإرهاب " ويحاول فهمها فى ضوء الدلالات اللغوية مضافا إليها السياق

---

(١) سورة الأنعام – الآية ٥٥
(٢) سورة آل عمران الآية ١٣٨ – ١٣٩
(٣) سورة الأنفال الآية ٢٥

القرآني لأن القران نزل بلسان عربي مبين وصولا إلى تعريف جامع مانع للإرهاب ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمين .

جاءت مادة " رهب "فى اللغة العربية بمعان كلها تدور حول الخوف والفزع والرعب

فابن منظور يقول : رهب بالكسر يرهب رهبة ، ورهبا بالضم ورهبا بالتحريك أي خاف ، ورهب الشيء : خافه ، و ترهب غيره إذا توعده ، والرهبة : الخوف والفزع ،و استرهبه : أخافه وفزعه[١] . والإرهاب بالكسر الإزعاج والإخافة[٢]. وقال ابن فارس :الراء ، والهاء ، الباء (رهب) أصلان أحدهما : يدل على خوف والآخر على رقة وخفة[٣].

وفى المعجم الوسيط :أرهب فلانا : خوفه وفزعه ، رهب فلانا : خوفه وفزعه[٤].

هذا بيان اللغة العربية – التى نزل بها القران الكريم – لمعنى " رهب " وانه لا يخرج عن الخوف أو الفزع أو الرعب[٥] .

وبتتبع آيات القران الكريم تجد أن مادة " رهب " ومشتقاتها الواردة فى الآيات القرآنية تدور كلها حول إثارة غريزة الخوف الإنساني لمنع الإنسان من عمل – قول أو فعل – ما يضره أو يضر الآخرين ، وان مجال الإرهاب ودائرة حركته وغايته القصوى لا تزيد عن التهديد أو التخويف لفرد أو جماعة بإنزال العقاب أو التعذيب إذا اعتدى على حق الآخرين[٦].

ومما هو معلوم للكافة أن التهديد والتخويف أمر نفسي وليس وسيلة أو أداة حسية والأولى أحادية الحدوث أما الثانية فزوجية الحدوث بمعنى اشتراط التداخل والتلاحم بين الطرفين وهو ما يعرف بالقتال – في الإسلام.

---

(١) لسان العرب – ابن منظور – المجلد الأول ص ١٢٣٧ – دار لسان العرب – بيروت
(٢) تاج العروس – الذبيدي – دار ليبيا للنشر والتوزيع – بني غازي ٦
(٣) معجم مقاييس اللغة–ابن فارس – جـ٢ ص ٤٤٨ تحقيق عبد السلام هارون – ط القاهرة ١٣٦٦
(٤)المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية – جـ١ ص ٣٧٧ – مطبعة مصر
(٥) سورة المائدة– الآية ٨
(٦) سورة الأنفال . الآية ٥٨

ب- المفهوم الاصطلاحي للإرهاب .

ويجئ دور الخطاب الديني الإسلامي للكشف عن " تعريف للإرهاب " يزيل به اللغط والصخب الذي يملأ الدنيا دون وصول إلى حق[١] تفصل به الأمور، وتحدد به المعالم ، ويميز به بين الخبيث والطيب والتعريف الذي أراه صوابا – وان كان يحتمل الخطا أن الإرهاب في الإسلام هو :

حالة نفسية من الرهبة والخوف عند عدو الله من امتلاك المسلمين للقوة تمنعهم من عمل ما يضر .

محترزات التعريف :

قوله " حالة نفسية " يخرج كل الوقائع الخارجية التى تسلب الأمن من الناس بإهلاك الحرث والنسل كالإكراه على عمل ما ، والبغى ، والاعتداء ، والسرقة ، وقطع الطريق ، والقتل فكلها صور ناشئة عن استخدام القوة.

٢- وقوله " من الرهبة والخوف " من بيانية وهذا يخرج الحالات النفسية الإيجابية كالرضا ، والفرح ، والرغبة ، وغيرها.

٣- وقوله" عند عدو الله " يخرج غير المؤمن المعاهد و الذمي لقوله تعالى " إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين"[٢] و الآية الستون من سورة الأنفال, ولوفاء الرسول صلى الله علية وسلم بعهده مع المشركين واليهود والقبائل العربية .

ويخرج المسلم كذلك لنهى النبي صلى الله علية وسلم عن أخافته وإفزاعه ولو بحديدة

---

(١) للوقوف على هذا التخبط يراجع:
- الإرهاب .. أريك موريس واخر ترجمة د/ احمد حمدى
- الإرهاب في المجتمع المعاصر أسبابه وعلاجه من منظور الإسلام / محروس محمد محروس / رسالة ماجستير مخطوطة – كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة جامعة الأزهر.
- كابوس الإرهاب وسقوط الأقنعة – إبراهيم نافع – الأهرام للترجمة والنشر .
- وجهات نظر- مجلة شهرية- العدد ٣٤ نوفمبر ٢٠٠١ – الشركة المصرية للنشر العربى و الدولي – مطابع الشروق مصر .

(٢) سورة التوبة الآية ٤

أو نظرة بغير حق . فعن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله علية وسلم قال " من نظر الى مسلم نظرة تخيفه فيها بغير حق أخافه الله يوم القيامة[١] ، و قوله: " لا يحل لمسلم ان يروع مسلما[٢] وقوله: " من أشار الى أخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه حتى يدعه ، وان كان أخاه لأبيه وأمه[٣] – اما قوله " من امتلاك المسلمين للقوة " فمن بيانية لسبب الخوف والرهبة وانه ناشئ عن امتلاك المسلمين للقوة وهذا يخرج " استخدام القوة " فمحله أحوال أخرى كمقاتلة الذين يقاتلوننا .

وهناك فرق واضح بين " امتلاك القوة " وبين " استخدام القوة " فحالة الأعداد والامتلاك مأمور بها شرعا ولا تفارق حياة المسلم

عن أبى هريرة – رضي الله عنه قال : "المؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز[٤]

وحالة تمني لقاء العدو ومقاتلته مكروها شرعا فعن عبد الله بن أبى أوفى عن رسول الله –صلي الله عليه وسلم – قال : يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموه فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف.[٥]

المبحث الثاني : اختلاف مفهوم الإرهاب في الإسلام عن مفهومه عند الآخر

مما سبق يدرك الباحث إدراكا راسخا أن الإسلام يرنو الى الهدف " فى الإرهاب " حيث تقرير حرية الإنسان فى اختيار عقيدته ولا يهدف الى فرض رؤيته ، ووسيلته – فى الإرهاب – هى أعداد القوة وليس استخدامها وهو بذلك يختلف اختلافا كليا وجزئيا عن " الإرهاب المعاصر" الذى يروج له الغرب ويستخدمه سلاحا لفرض هيمنته على المسلمين

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي .جـ٦ صـ٢٥٣ طـ القدسي, وعزاه إلى الطبراني

(٢) رواه أبو داود كتاب الأدب – باب من يأخذ الشيء علي المزاح جـ٤ صـ٣٠٣ حديث رقم ٥٠٠٤ – طـ دار الحديث – القاهرة – ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي – كتاب البر والصلة – باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى المسلم – جـ١٦ صـ١٦٩ – المطبعة المصرية ومكتبتها – ١٣٤٩ هـ-

(٤) المرجع السابق كتاب القدر باب الأيمان للقدر والإذعان له ج١٦ ص ٣١٥

(٥) فتح الباري كتاب الجهاد والسير ج ٦ الحديث رقم ٢٩٦٦ دار الغد ا- لبنان ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م

خاصة والعالم الفقير عامة " فالغرب يستعمل المفاهيم التى ينتجها بمعنى واحد و في اتجاه واحد يعبر عن وجهة نظره الأحادية - بل العنصرية[١]- من المركز الى الأطراف ومن الانا .
الى الأخر .. فهي في الخارج تطلق الأحكام وتتعصب لها وتصبح من ملاك الحقيقة المطلقة[٢]
وخلاصة تعريف الإرهاب في الخطاب الديني الإسلامي تنبىء أن كلمة " الإرهاب " لا تصلح - علميا - أن تكون مصطلحا توصف به الأحداث والوقائع العنيفة فى بعض المجتمعات الإسلامية[*] من قتل متبادل بين بعض الجماعات ، وبين بعض أفراد الشعب والسلطة ، أو اعتداء على ممتلكات المواطنين العامة والخاصة من بعض الأفراد والجماعات أو تدمير المنشات و المباني العامة والخاصة ، وقد أشارت المادة ٨٦ من القانون المصري رقم ٩٧ لسنة ١٩٩٢ م الى ذلك فنصت على أن الإرهاب هو: " كل استخدام للقوة أو العنف أو التهديد أو الترويع يلجأ أليه الجاني بتنفيذ مشروع إجرامي فردى أو جماعي بهدف الإخلال بالنظام العام أو تعريض سلامة المجتمع و أمنه للخطر ، إذا كان من شان ذلك إيذاء الأشخاص أو إلقاء الرعب بينهم أو تعريض حياتهم أو حرياتهم للخطر أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بالاتصالات أو المواصلات أو المباني أو بالأملاك العامة أو الخاصة أو باحتلالها أو الاستيلاء عليها أو منع أو عرقلة ممارسة السلطات العامة أو دور العبادة أو معاهد العلم لاعمالها أو تعطيل الدستور أو القوانين أو اللوائح[٣].
والتوصيف المناسب للجرائم المشار أليها في القانون المصري هو الإفساد فى الأرض أو الخروج عن الشريعة أو الفتانون " الذين يفتنون الناس فى دينهم".

---

(١) الإضراب من عندى –
(٢) بحث الإرهاب المزدوج – حسن حنفى ص ٦٩ – ٧٠ د/ مجلة " الديمقراطية " العدد الخامس .
(*) خلافا لغيرنا فقد يصلح هذا الوصف فى ثقافته وفقا لافكاره ومعتقداته ولذا وجب التميز والفصل حرصا على الأمة من التمزق النفسي و الفكري و الاجتماعي كما يبرهن عليه الواقع فلكل وجهة هو موليها .
(٣) راجع فى ذلك اثر الإرهاب على الديمقراطية.. د / محمد ظهرى محمود مقال بمجلة الديمقراطية العدد ٥ . ص ١٣٢ .

وعدم الصلاحية للاستخدام نابع من الحرص على عدم استخدام الدين كستار يبرر مثل هذه الجرائم السابق ذكرها و بالتالي الإساءة الى مكانة الدين الحقيقة مما يصرف الناس عنه ، ويضر بأمن وسلامة الوطن والمواطنين وهذا يؤكده الواقع " حتى ليكاد المسلم اليوم أن يكون الوكيل الشرعي لاعمال العنف فى الشرق الأوسط بيد أن الحقائق تتحدث بغير هذه اللغة التى تقفز على كل التناقضات السياسية
والاجتماعية والاقتصادية التى تعيشها مجتمعاتنا المعاصرة لترمى بهمومها على الدين الإسلامي محملة إياه وزر التخلف والعنف. [١]
أن مفهوم الإرهاب في الإسلام له حدود ومعالم نص عليها الشرع إيجادا له وضبطا لحركته في حياة الناس منها :
١- إثارة الخوف الإنساني لاداء حق الله بتوحيده وأفراده بالعبادة لينتفع الناس بالهدي الإلهي .
قال تعالى : " وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين إنما هو اله واحد فإياي فارهبون "[٢]
و" يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتي التى أنعمت عليكم أوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون" [٣]
فالخوف هنا يطلب الله عز وجل من عباده أن يخصوه به – دون غيره– وذلك فى كل أعمالهم، فيما يأتون وفيما يزرون .
ومن وجه الخوف الى الله وخصه به أثنى الله عليهم ومدحهم وجعلهم قدوة للناس وأئمة .
قال تعالى :"فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين "[٤]

---

(١)التأصيل الشرعي والقانوني لمكافحة – الجماعات الإرهابية . د/ ابو الوفا محمد ابوفا جـ٣ ص ٤٣١ بحوث المؤتمر الدولي لمكافحة جرائم العنف والتطرف فى المجتمعات الإسلامية – المنعقد بالقاهرة سنة ١٩٩٨
وراجع : إشكالية العنف فى الفكر العربي المعاصر. احمد الشهاب مجلة الكلمة العدد ٢٣. ص ٨١ سنة ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م
(٢) سورة النحل الآية ٥١
(٣) سورة البقرة الآية ٤٠
(٤) سورة الأنبياء / آية ٩٠ .

والتعاليم المنزلة من عند الله الى الناس هدى ورحمة لا ينتفع بها الا من يرهبون ربهم ويخافونه . قال تعالى : " ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون "[١]

٢- بيان حالة الخوف التي تملئ صدور المنافقين

وقد ورد فى القران عن الإرهاب فيما يخص البشر قول الله تعالى :
" لأنتم اشد رهبة فى صدورهم من الله ..."[٢]
وهى تصور وتقرر واقعا فى صدور المنافقين بأنهم يخافون المؤمنين اشد من خوفهم من الله تعالى إذن فرهبتهم منكم فى السر اشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله عز وجل .

٣- الحث علي امتلاك كل قوة لردع عدو الله تمكينا لمبدأ حق الإنسان في اختيار عقيدته.

وهنا تجد قول الله تعالى :
"وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم الله لا تعلمونهم الله يعلمهم ..."[٣]

فهذا أمر من الله عز وجل للمؤمنين بأعداد كل ما استطاعوا من قوة لإرهاب عدو الله وعدوهم واخرين من دونهم ، والآية هى التى جعلت علماء المسلمين يقررون أن أل إرهاب - للعدو - مفروض[٤] على المسلمين لإخافة أعدائهم ، وهذا حق ألا انه يلزم أن نضعه في موضعه الشرعي وان نحفظ له تميزه ونقاءه ونبل مقصده كوسيلة لإيجاد السلام و إنقاذ البشرية من التدمير والإهلاك

هذه الخصوصية الثقافية المستمدة من أصول ديننا هى التى يجب المحافظة عليها من التشويش واللغط الذى يثيره الأعداء حول الأصول الإسلامية قاصدين الإساءة أليها وفى نفس الوقت ضرورة الدخول فى ثقافتهم بدعوى مكذوبة باطلة " وحدة الثقافة ، الثقافة الواحدة " وما تلك الا صورة من

---

(١) سورة الأعراف / آية ١٥٤.
(٢) سورة الحشر / آية ١٣
(٣) سورة الأنفال / آية ٦٠.
(٤) الإرهاب بين الفرض والرفض في ميزان الإسلام - د / عبد الحي الفرماوي - ص ١٧, ١٨ -نشر دار البشير للثقافة والعلوم - بدون تاريخ
* كالحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي وأمريكا - فى القرن العشرين - لم يقع خلالها قتال وانعكس ذلك على حركة التقدم العلمي والتقني عند الطرفين .

صور الهيمنة والتبعية ، ولا بد- ايضا - على الخطاب الديني الإسلامي - أن يكشف خطا بعض الرؤى من المسلمين والداعية الى ممارسة العنف والقتل ، والتدمير للمنشات ، والترويع للآمنين بدعوى ان الإرهاب مفروض في الإسلام ، لان الإسلام يرفض بل يحرم كل الصور المفسدة فى الأرض وهم فى ذلك لا يستدعون الهداية التى أنزلها الله إلينا بل يستدعون الصورة والمعنى المنتشر بين الناس عن الإرهاب والذي تروجه الوسائل الإعلامية المعاصرة ترديدا لدراسات وبحوث المراكز الغربية بدون وعى منا أو أدراك للفخاخ التى تصنعها أولها محو الخصوصية الثقافية للامة وتفريقها توطئة للاستعانة بهم في حماية الآمن والقضاء على الفوضى .

فديننا الإسلام حدد موقع الإرهاب ودائرة تواجده ووسيلته إذ وسيلته أعداد كل ما نستطيع من قوة ، ودائرته إخافة عدو الله وعدونا ، ولهذا فان "الإرهاب" لا وجود له عندنا كمشكلة تفرغ لها العلماء والمثقفون وكأني بهم يفكرون لغيرهم !

والنظر في الآية الأربعين من سورة الأنفال(مضموما أليها غيرها-في هذا الشان - يزيد الأمر بيانا ووضوحا :

ا- قول الله تعالى " وأعدوا لهم ... " أمر بأعداد كل ما نستطيع من قوة ، قولا وفعلا ، حسية ومعنوية ، ذاتية وخارجية ، مالية ونفسية ... وهذا الاستعداد الذى يكاد يستوعب كل مجالات الحياة مبعثه عداوة أعداء الله واعدائنا بمصادرتهم لحقنا في حرية الاعتقاد بالإله الواحد وعبادته وحده بل واعتدائهم علي المسلمين وإيذائهم فى الأموال والأنفس ولولا هذا ما رأوا لنا جيشا محاربا ولا رعبا مفزعا .

والأمر القرآني بالاستعداد للقتال والتهيؤ له لردع الاعتداء ومنازلة العدو ومقاتلته, وليس للاعتداء على الآخرين وشتان ما بين الحالتين من فوارق.

أن الإسلام لا يعرف حرب العدوان وما زاولها لبسط سلطان أو تحقيق ثروة أو استعباد شعب أو إهانة إنسان بل هو يحرم الاعتداء على الأنفس والأموال ألا بحق الله كاسترداد مال مغصوب أو كرامة مهانة .

ب- الأمر القرآني يقصد الى إلقاء الخوف والرعب فى قلوب الأعداء - لله - الظاهرين والمستترين منعا لهم من الاعتداء علينا وبالتالي الرد عليهم فتتولد حالة " قتال " و أعداد القوة وسيلة لمنع الاعتداء فان العدو إذا علم استعداد عدوه لقتاله وامتلاكه للقوة التى تؤيده لم يجرؤ على الاعتداء* فكان ذلك أمانا للمسلمين يتمكنون فيه من عبادة ربهم ونشر دينه واخراج

الناس من الظلمات الى النور واصلاح الأرض وعمارتها ، وامنا لهم من أن يغزوهم الأعداء فيقتلون و يقتلون ويقع الإفساد فى الأرض والله لا يحب المفسدين .

" ومن ثم ينفى الإسلام من حسابه – منذ الوهلة الأولى – كل حرب تقوم على أمجاد الأشخاص

والدول وكل حرب تقوم للاستغلال و فتح الأسواق ، وكل حرب للقهر و الإذلال وكل حرب لتسويد وطن على وطن ، أو قوم على قوم "[١].

جـ– إذا كان " الإرهاب المفروض " في الإسلام هو حالة نفسية من الخوف والرعب تتولد عند عدو الله في حالة امتلاك المسلمين للقوة فممارسة العنف باستخدام هذه القوة فى قتل المخالف والتخلص من وجوده على ظهر الأرض أو استعباده أمر حرمه الإسلام قال تعالى: " وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم و لا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين "[٢].

فالإرهاب المفروض عامل مؤثر وسبب فعال فى تحجيم نوازع الاعتداء عند الآخر ، ومنعها من الظهور فى واقع الحياة ولذا فهو – فى دين الله – وسيلة للحياة وليس للقتل ، للبناء وليس للهدم لانه – إرهاب العدو – لاينفى العدو من الوجود ولا يحرمه من الحياة بل ليمنع ضرره ويكف أذاه عن المسلمين ثم يتركه ليحيا ويفكر " لكم دينكم ولى دين "[٣]

فمن شاء فليؤمن ويحيا حياة المؤمنين , ومن شاء فليكفر ويحيا حياة الكافرين , ولذا يكون من اثار حالة الإخافة والرهب عند الآخر والتي تولدها القوة إدراك انه لا طاقة له بالمسلمين لقوتهم مما يترتب علي ذلك عرضه الصلح مع المسلمين ميلا إلى السلم وإظهارا بكف أذاه , وهنا يفرض الله علي المؤمنين المسارعة إلى السلم بمجرد ميل العدو لذلك قال الله تعالي :

" وان جنحوا للسلم فاجنح لها ...." [٤]

وحيث أن الإنسان يتوجس خيفة من كل ما يصدر عن عدوه , ولا يأمن مكره وخداعه , فان الله تعالي يدفع المسلمين الأقوياء دفعا إلى الميل

---

(١) فى ظلال القران – سيد قطب – المجلد ٣ جـ١٠ ص١٥٤٥ – دار الشروق – بيروت ١٣٩٣ هـ– ١٩٧٣ مـ

(٢) سورة البقرة . الآية ١٩٠

(٣) سورة الكافرون الآية ٦

(٤) سور الأنفال . الآية ٦١

والدخول في السلم , بل والمسارعة إلى ذلك بدليل (الفاء) في قوله تعالي " فاجنح لها "

ويبدد الله المخاوف عند المسلمين من عدوهم بضمانات إلهية أولها : قوله تعالي " وتوكل علي الله انه هو السميع العليم , ثانيها :إزالة كل المخاوف النفسية عند المسلمين من توقع خداع الآخر وتبييته مكرا بالمسلمين بان الله كافيهم وحسيبهم " وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين "[١]

هذا هو الذي يولده إرهاب العدو – في المفهوم الإسلامي – في واقع الناس انه الميل الي السلام والسعي في ضمان الحرية لكل الأطراف والإبقاء علي إرادة الجميع حرة يختاروا من خلالها ما يريد دون إكراه من الآخر لان الإكراه لا يولد سلاما بل يولد حقدا وكرها ونفاقا .

ولذا قرر الإسلام المبدأ الحق " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي "[٢]

وقوله تعالى " وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر "[٣].

د– أن من شان المحافظة على خصوصية الثقافة الإسلامية إن نبصر هداها ورحمتها وننعم بالخير في ظلالها .

فالنظر الى " الإرهاب " انطلاقا من ديننا سيحمي من التفسخ النفسي والفكري الذى تعانيه الامة لان الإرهاب الذى ذكرته الآية ودفعت المسلمين الى امتلاك دواعيه و أسبابه – القوة – مكانه فى قلب الأعداء وهدفه تهيئة المناخ المناسب والبيئة الخصبة للأفكار الحية الصالحة لتنبت وتنمو كى تؤتى أكلها كل حين بأذن ربها .

و أول ذلك الأكل الميل الى السلم – كما يبرهن الواقع على ذلك– فمعاهدات الاستخدام السلمي للأسلحة ، وعدم الاعتداء و الحد من الأسلحة النووية ، والتعاون وحسن الجوار كلها وجدت فى ظل " قوة الردع " لدى الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي " خلال القرن العشرين"

فإذا ولدت حالة السلم بين الطرفين – وهو ما يسعى إليه الإسلام – فهذا يعنى بدء عملية الغروب والأفول للأفكار الميتة الشريرة كالقضاء على الآخر والتخلص منه بقتله أو استبعاده والتحكم فى أرادته حتى يكون جسدا بلا روح وعقلا بلا فكر ونفسا بلا إرادة .

---

(١) سورة الأنفال الآية ٦٢

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٦

(٣) سورة الكهف الآية ٢٩

وتاريخ المسلمين- أي التطبيق الحق للأمر الإلهي - يدلل على ان الهدف هو حماية حياة الإنسان وتقرير حريته ، ففي فتح مكة (٨ هـ) وقد رأى الكفار قوة المسلمين حتى قال ابو سفيان لهم: " يا معشر قريش هذا محمد جاءكم بما لا قبل لكم به ... " ففى هذا الموقف المحمل بكل معاني الضعف والخوف ينظر إليهم النبي - صلى الله عليه وسلم - فيقول لهم: يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل فيكم ؟! , قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم قال : اذهبوا فانتم الطلقاء [١].

وهذا الموقف الذى عايشه الرسول - صلي الله عليه وسلم- وصحابته- رضوان الله عنهم - أعدادا للقوة ثم نصرا و تمكينا لهم من عدوهم - ، والموقف الذى عايشه الكفار - المذلة والضعف عند رؤية قوة المسلمين ثم الحياة الآمنة لهم بعد علو كلمة الله كلاهما اثر لاعداد القوة التى أمر الله بها وليس لاستخدام القوة مع القدرة عليها فالمقصد الإسلامي هو هبة الحياة للمسلم لينعم بعبادة الله وحده ، وأيضا هبة الحياة للكافر ليرى اثر نعمة الإسلام على المسلمين فلعله يفكر فى الإسلام وعلى نفسه لتمتعه بالأمان في ظلال العدل الذى يفرضه الإسلام على اتباعه. قال تعالى: " و لا يجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقو الله ... "[٢].

هـ- الإخافة والإرهاب - الذى يتولد عن امتلاك القوة - لغير المؤمن مقيدة بان يكون عدوا لله وللمسلمين " ترهبون به عدو الله وعدوكم " فان كان بين المسلمين وغيرهم عهد و ميثاق فهو خارج عن دائرة الإخافة والترهيب بل يجب على المسلم الوفاء بالعهد والميثاق فهذه علامة الأيمان اما نقض العهد فخيانة والله لا يحب الخائنين ، ويمضى الإسلام درجة في طريقته للحفاظ على حالة السلم قائمة بين الناس فيلزم المسلمين إذا خافوا من خيانة قوم بينهم وبين المسلمين ميثاق أن يعلنوهم بانتفاء العهد ، قال تعالى: " واما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء أن الله لا يحب الخائنين "[٣].

وبهذا يتبين بوضوح الاختلاف التام بين المنظومة الفكرية التي يرسمها الإرهاب من خلال الأصول الدينية الإسلامية في وسيلتها (أعداد القوة) وهدفها (تحقيق السلام) للمسلين واعدائهم وبين المنظومة الفكرية التي ترسمها التعريفات المتداولة للإرهاب في وسائل الأعلام المعاصرة

---

(١)السيرة النبوية لابن هشام جـ٤ ص٣٤، ٤١ مكتبة الكليات الأزهرية- بدون تاريخ.
(٢) سورة المائدة الآية ٨
(٣) سورة الأنفال الآية ٥٨

فوسيلتها استخدام القوة عنفا وقتلا وتدميرا للبلاد والعباد وهدفها الوصول إلى السيادة والسلطة والتحكم في الآخر وقهره .

المبحث الثالث : <u>أهم أسباب العنف في المجتمعات الإسلامية</u> .

العنف في - لغة المسلمين وثقافتهم- هو: الأخذ بشدة وقوة وقسوة ولذا فان الشدة والقوة والقسوة صفات لازمة لمن يتصفون بالعنف ومن كان العنف وصفه انفض الناس من حوله قال تعالي : " فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ..."[١] واللين أمر محبب في الشرع ولو كان مع الطغاة والجبابرة قال تعالي :" فقولا له قولا لينا لعلهم يتذكر آو يخشي [٢].

ومن المؤسف أن العنف اصبح مرضا وظاهرة في المجتمع الإسلامي " واصبح المجتمع يموج بتيارات العنف والعنف المضاد مما جعل وسائل الأعلام في كل الدنيا تتبارى في الحديث عنه وكأنه لا عنف أبدا في بلاد الدنيا سوى في بلادنا .. وصار هذا الأمر صارفا - - فيما يبدو - للناس عن ديننا وهذا ما يريده أعداء الإسلام، بل صار الأمر فيما أرى - صارفا لديننا عنا[٣].

<u>ومن أهم أسباب العنف في المجتمعات الإسلامية :</u>

الصراع المستمر بين المعارضة والسلطة ، والصراع فى جوهره اصطدام بين اتجاهين يصمم كل منهما على الانفرادية وعدم الالتقاء ولو على حساب الآخر بقهره وقتل أرادته أو التخلص من وجوده نهائيا .

و كل الوقائع المحرمة شرعا والصادرة عن " الفئتين " تصب فى اتجاه واحد هو الوصول الى الحكم لممارسة السيادة على الآخر إخضاعه ، ولذا فالمناخ السائد بين السلطة و المعارضة ملوث بالفيروسات المدمرة لجهاز المناعة عند المجتمع . والوصول الى الأهداف عن طريق القوة ليس خاصا بالإسلاميين بل هو بالأحرى مرض إنسان المنطقة عموما - إسلامي أم شيوعي - أم قومي - لذا لا يمكن فهم المشكلة في إطار الإسلاميين[٤].

---

(١)سورة آل عمران . الآية ١٥٩
(٢)سورة طه - الآية ٤٤
(٣)الإرهاب بين الفرض والرفض - ص ٤٧ - د عبد الحي الفرماوى
(٤)سيكولوجية العنف - ص ٢٧ - د/ خالص جلبي - دار الفكر- ط ١ - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م

ولقد ترتب على هذا الصراع الكثير من المآسي الإنسانية – عند الطرفين والانتكاسات الاجتماعية فى كافة مجالات الحياة . " أنها لعنة الوصول الى الحكم والحلم بان إمساك السلطة سيحل المشاكل بطريقة سحرية وهذه نصف اللعنة والنصف الآخر هو الوسيلة لتحقيق هذا الحلم الوردي أنها العنف .

والعنف لابد فيه من العمل المسلح .. أذن لابد من التنظيمات السرية. أن جو الصراع السياسي المسموم افرز هذه الأمراض فالمعارضة تتربص بالحاكم ، و الحاكم بفعل غريزة الدفاع عن النفس سخر كل إمكانياته لتحطيم المعارضة طالما كانت المعارضة تريد تحطيمه[١].

٢- اختزال عملية التغيير الاجتماعي في أسلوب القوة وهذا هدم للأسس الإسلامية الثابتة في منهجية التغيير الاجتماعي والقران الكريم والتطبيق العملي للرسول صلى الله عليه وسلم مليئان بالكثير من الأدلة والوقائع التي تقرر ذلك .

من أهم هذه الأسس :

١- المحافظة علي المبدأ الإسلامي الذي يقرر حق الإنسان في الاختيار وحمايته من كل مظاهر العنف والقسر والإجبار , قال الله تعالي " لإكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي"[٢]

وقوله تعالي : " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" [٣] لان الله تعالي يريد من عباده أيمانا واستسلاما ولا يريد نفاقا وخداعا ," فمن المعلوم أن القران لا يعترف بالأيمان إذا شابته شائبة تؤثر علي كامل الاختيار , ولهذا رفض الله – عز وجل – إيمان فرعون حين أعلن أيمانه عندما أدركه الغرق كما قال تعالي " حتى إذا أدركه الغرق قال أمنت انه لا اله إلا الذي أمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين"[٤], وكان الرد الإلهي عليه "الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين " [٥].

---

(١)المرجع السابق ص ٢٧
(٢)سورة البقرة الآية ٢٥٦
(٣)سورة الكهف الآية ٢٩
(٤)سورة يونس الآية ٩٠
(٥)سورة يونس الآية ٩١

فلم يقبل الله منه الأيمان في هذه الحالة إذ لم يعد له اختيار "[١] وكذلك لا ينتفي الأيمان إذا اكره من آمن علي الكفر قال تعالي " من كفر بالله من بعد أيمانه إلا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان "[٢]

٢- التغيير الاجتماعي أساسه تغيير النفس البشرية من الأفكار الميتة التي تجعلها كالأنعام بل هي أضل سبيلا , قال الله تعالي " أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" [٣] فمحور التغيير الاجتماعي هو النفس لان عملية التغيير في التصور الإسلامي تبدا من الفرد باعتباره نقطة الانطلاق واللبنة الأساس في البناء التغييري... والتغيير المجتمعي لن يؤتي آكله دون اتساع وعمق رقعة التغيير علي المستوي الفردي [٤]. ولا سبيل لحياة التخلف والانهيار إلا في نفس كليلة فقدت إرادتها " أن كل أشكال الهزائم التي يمكن أن تصيب أمة ما تظل محدودة التأثير مالم يتولد عنها هزائم نفسية تزعزع ثقتها بنفسها ومبادئها, وتسد أفاق النصر والتقدم في وجهها[٥]

٣- التزام منهجية التغيير الاجتماعي بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن , لقوله تعالي " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن "[٦].

وقوله تعالي : " ولو كنت فظا غليظ القلب لنفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر "[٧].

٤- مراعاة منهجية التدرج في التعامل مع المجتمعات البشرية لان " منظومة الحركة الاجتماعية في الإسلام تقتضي السير المتدرج نحو الكمال

---

(١)كيف نتعامل مع القران العظيم- د/ يوسف القرضاوي ص ٣٢٨ ط ١ – دار الشروق ١٤١٩ ه – ١٩٩٩م
(٢)سورة النحل الآية ١٠٦
(٣)سورة الرعد الآية ١١
(٤)بحث الحركة الإسلامية وإشكاليات التغيير – علاء النادي – مجلة المنار الجديد – العدد ١٨ ص ٧٥ دار المنار الجديد للنشر والتوزيع بالقاهرة – محرم ١٤٢٣ ه – أبريل ٢٠٠٢ م
(٥)مقدمات للنهوض بالعمل الدعوى – د/ عبد الكريم بكار – ج ٣ – ص ٢٩٩ ط ١ – دار القلم – دمشق .
وراجع : قضية الإرهاب – جمعة آمين – ص ٥٨ ,٥٩ – دار التوزيع والنشر – ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م
(٦)سورة النحل الآية ١٢٥
(٧)سورة آل عمران الآية ١٥٩

والمثل الاجتماعية وفق حركة جوهرية نشطة تسير لهدي عقيدي وتشريعي يلحظ تلك المهام والمسئوليات المتعددة في علاقة الإنسان مع خالقه ومع نفسه وغيره ومع كل عوالم الوجود" [١]. والتدرج هنا تعني " تحديد الأهداف بدقة وبصيرة وتحديد الوسائل الموصلة إليها بعلم وتخطيط دقيق , وتحديد المراحل اللازمة للوصول إلى الأهداف بوعي وصدق بحيث تسلم كل مرحلة إلى ما بعدها ... حتى تصل المسيرة إلى المرحلة المنشودة والأخيرة والتي فيها قيام الإسلام . "[٢]

٥- إرساء مبدا الحوار الإنساني كأساس للتغيير الاجتماعي فهو الذي يحمي الكرامة الإنسانية من المهانة ويعلوا بها إلى كلمة سواء : تعبد الله وحده ولا تشرك به شيئا ولا يتخذ بعضها بعضا أربابا من دون الله . أقوا قول الله تعالي : " قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله , فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون "[٣] لتجد فيها هذا المبدأ .

والمصيبة التى تزلزل المجتمعات الإسلامية – بعد كل ذلك – أن نجد من يبرر ذلك بدعوى " الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر " .

" فهل نظن أن السلام يولد من جوف الحرب هل يمكن لشجرة الحنظل أن تنبت تمرا ؟ هيهات هيهات لما توعدون. أن الحرب لم تقد الى السلم مطلقا وهى مظاهرة جوفاء فارغة ، وسطحية، ومؤقتة وفى انتظار جولة الحرب الجديدة وهذا الكلام ينطبق على الشرائح السياسية المتصارعة داخل البلد الواحد .. أن المهزوم سوف يحمل الحقد فى انتظار الثأر المخبأ فى ضمير الغيب وسوف يكون الثأر مروعا ومنتجا بدوره لثأر مضاد وهكذا تتوالى حلقات العنف والعنف المضاد عبر أجيال و أجيال ؟"[٤]

تحريف مفهوم الجهاد لدى بعض العاملين فى الحركة الإسلامية حيث حصروا معنى الجهاد فى صورة " القتال " وما القتال ألا صورة من صور الجهاد في سبيل الله وهذا التحريف ما هو إلا محاولة لتبرير عمليات العنف ضد الآخر بالاحتماء في لباس ديني يرضى شهوة الانتقام ويجذب

(١)التغيير والتجديد في الحياة الإنسانية – ذاكر ال حبيل – ص ٦٦– مجلة الكلمة العدد ٢٣– لسنة ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩م – دار الفلاح للشر والتوزيع

(٢)في فقه التغيير – د/ يوسف القرضاوي – ص ١٢ – مجلة المنار الجديد– عدد ٤ جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ– أكتوبر ١٩٩٨ م

(٣)سورة ال عمران الآية ٦٤

(٤)سيكولوجية العنف – د/ خالص جلبي – ص ٨٩

الاتباع والمريدين لان لمصطلح الجهاد سحره و تأثيره على المسلمين .

قال تعالي: " قل هل تتربصون بنا الا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا .."[١] النصر أو الشهادة والنصر يرضى النفس في الدنيا والشهادة تجمع لذة الآخرة فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون .

ومفهوم الجهاد يقصد به استنفار كل الطاقات المتاحة للتفاعل مع الإسلام فى كافة الحالات الإنسانية ويبقى القتال المسلح من خلال المؤسسة الحاكمة تقرره حسب مصلحة الأمة ولابد من وضع كل فى موضعه حتى لا نخسر ونظن أننا نحسن صنعا"[٢].

٤- غياب النقد الذاتي مع اعتبار النقد الخارجي تشويها للذات ومساسا بقدسية الرؤى والأفكار الإنسانية ولا صلة للدين بهذا العوج والانحراف الفكري, لان الدين يقرر أن كل بني أدم خطاء إلا من عصمه الله (الرسول) ويلفت النظر إلى اثر النفس اللوامة في استقامة الإنسان على دين الله ونجاة صاحبها حيث أقسم الله تعالى بها فقال: " ولا اقسم بالنفس اللوامة [٣].

وادعاء العصمة -رفض النقد – هو قتل للفطرة الإنسانية في الخطأ والاعتراف به كما قال موسى عليه السلام " قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم[٤]

و قال ويونس عليه السلام " لا اله إلا أنت سبحانك أنى كنت من الظالمين[٥]

ولعل علة هذا المرض ترجع الى ادعاء كل طرف انه وحده يملك الحقيقة المطلقة وهذه العقلية مدمرة لصاحبها ، كما اهلك إبليس نفسه وطرد من رحمة الله ، وفرعون بادعائه الألوهية من دون الله وما علم الاها غيره . ومدمرة لاتباعها كإهلاك الله لقوم فرعون وتدمير ألمانيا اتباع هتلر .

"فامتلاك الحقيقة النهائية – كما تتوهم العقلية السيادية – يعنى بشكل آلي انه ليس هناك هامشا للخطأ بل كله صواب وبالتالي فلا حاجة للمراجعة و

(١)سورة التوبة الآية ٥٢

(٢)للمزيد يراجع : الجهاد في الإسلام – د/ محمد سعيد رمضان البوطي – ط٢ –دار الفكر – دمشق سنة ١٩٩٧ م. وسيكولوجية العنف – ص ٢٧ – مرجع سابق

(٣)سورة القيامة الآية ٢

(٤)سورة القصص الآية ١٦

(٥) سورة الأنبياء الآية ٨٧

بالتالي لا نمو ولا نضح أي لا حياة ، وبذلك يسئل نور الحياة تدريجيا من هذه العقلية "[١] .

" أن إخضاع الأعمال والاجتهادات البشرية للمراجعة والنقد يعني إكسابها لعقولنا أقدارا من الرحابة والمرونة الذهنية ، وبناء الملكة والأهلية التي تمكننا من النظر الدقيق في ضوء هذه الرؤى المتنوعة "[٢]

أن رفض النقد يقطع قنوات الاتصال بين الأفراد و المجتمعات وتزداد بذلك التوجسات والتخوفات من الآخر والاتهام بالتآمر على الآخر للقضاء عليه والتخلص منه أنيا أمراض يتولد بعضها من بعض والذي خبث لا يخرج إلا نكدا ، أما الطيب فيوتى آكله كل حين بأذن ربه .

المبحث الرابع : أهم وسائل علاج العنف في المجتمعات الإسلامية

اتقاء الفتنة والقضاء على بذورها في المجتمع

عمليات العنف التى تهدد وجود الأمة بقتل بعض أبنائها والتخلص منهم أو تدمير بعض المنشآت العامة والخاصة هى مرض يخشى انهيار الأمة بسببه ولهذا يجب أن ندرك خطورته ونتكاتف جميعا لحماية الأمة من هذه الجرثومة الفتاكة ، والقضاء علي البيئة التي تنمو فيها ، فحالات القتل أو التدمير لو تركت أسبابها لتكاثرت و أتت على الأخضر و اليابس ، على الحي و الميت ، وخطورتها تكمن في أسبابها إذ هى ظواهر لجرثومة تستقر فى عقل الفاعل وهى التى تحركه لارتكاب جريمته المنكرة فإذا تركت تتكاثر تحولت الى وباء يهلك الأمة قال تعالى: "وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا " [٣] فالظلم هو الذي أوردهم المهالك ، سواء اصدر من الفرد ام المجموع

وهل الكل ظالم فاعل للقتل ؟ نعم فحالة الجريمة فردية - بالنظر للمجموع العام - فلما تركوها تنمو وتكبر حتى صارت وباء كانوا " ظلمه " فهلكوا " جميعا ! , وهذا ما حذر منه الرسول- صلي الله عليه وسلم - من شيوعه والتحقق به فقال - صلي الله عليه وسلم - : " مثل القائم علي حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا علي سفينة أصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها , فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا علي من فوقهم

---

(١)سيكولوجية العنف - د/ خالص جلبي - ص ٥٤

(٢)مقدمة كتاب الأمة رقم ٧٥ (فقه الواقع ..) عمر عبيد حسنة ص ١٥ , ١٦ بتصرف يسير . وزارة الأوقاف- قطر - محرم ١٤٢١ هـ-

(٣)سورة الكيف . الاية ٥٩

فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم يؤذ من فوقنا , فان يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا , وان اخذوا علي أيديهم نجوا ونجوا جميعا "[١].

واستخدام المسلم للعنف بقتل المخالف له في الرأي يكون سببا للطرد من رحمة الله و مآله النار .

عن الأحنف بن قيس قال ذهبت أنصر هذا الرجل فلقيني أبو بكر فقال أين تريد ؟ قلت انصر هذا الرجل . قال ارجع فأني سمعت رسول الله - صلي الله عليه وسلم - يقول : " إذا التقي المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقلت يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول , قال انه كان حريصا علي قتل صاحبه " [٢]

وصدق رب العالمين " واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة..."[٣]

فعلاج الفتنة اتقاؤها والوقاية منها أي بذل الجهد واستفراغ الطاقة فى وأد بذرتها ومحو كل وسيلة تهيىء لها فرصة العودة الى الحياة من جديد والأفكار عالمها النفس كما ان الحدث عالمه الواقع ، واذا كان القتل أو التدمير مروعا ومفزعا فان الفكرة التى تنبت منها اشد ترويعا وتفزيعا .

ولو وجهت الأمة عقولها صوب البحث عن الفكرة القاتلة " الفكرة الجاهلية " لامكن الأمة ان

تستفيد من طاقاتها بدلا من بعثرتها حول مالا ناقة لنا فيه ولا جمل .

فالبحث فى الظواهر يلزم معه البحث عن الإبطال المنشئة لها (الأفكار) وهذا ثابت فى هداية الله الى الإنسانية بالفطرة وبالرسالة .

٢- اعتماد التغيير النفسي مبدءا لتغير المجتمع .

قال تعالى " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " [٤].

أنها لشرعة السماء غير نفسك يتغير التاريخ[٥]

---

(١)فتح الباري -ابن حجر العسقلاني - ج٥ - ك الشركة - باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه-ص٤٢٩ - دار الفكر للطباعة والنشر

(٢)المرجع السابق - جزء ١ - كتاب الامام باب وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا - ص ١١٩ .

(٣)سورة الانفال . الاية ٢٥

(٤)سورة الرعد . الاية ١١

(٥)شروط النهضة - مالك بن نبى - ص ٣٢- ترجمة د/ عبد الصبور شاهين - دار الفكر- سنة ١٣٩٩ - ١٩٧٩-

ويتبع ذلك – ضرورة – نبذ فكرة التغير من القمة لان العلاج السليم " كما رأى عبد الرحمن الكواكبى فى طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد لا يكمن فى تغيير الحكومات بل دعا الى المحافظة عليها. ان السيارة تحتاج الى (دعسة بنزين و فرامل) و ليس الى نزع (دعسة البنزين) ووضع اخرى محلها ذلك ان سيارات عالمنا تمشى دون فرامل وتقود شعوبها الى الكوارث أن ما نحتاجه تغيير استمولوجيا الفكر (المعرفة الفكرية)وليس الحكومات لأنها فى النهاية إفراز عفوي للشعوب وعدم الانتباه الى هذه النقطة أوقع حركات التغير السياسي والاجتماعي وشعوبها فى مطبات لا نهاية لها [١].

٣- ان يلتزم المجتمع بكافة مستوياته – بالتوقف عن الصراع الدموى ومحاولة الغاء الاخر وعدم التراجع عن مبدأ المبادئ كلها (الحوار) لانه بالحوار والثبات عليه والاستشهاد فى سبيله[*] هو الذى يفتح الطريق لحل مشكلة العنف. ان كان هناك اصرار فليكن على التخلى – – دفعة واحدة – عن العنف .. لان وجود هذه البذرة الخبيثة ولو فى عالم الأفكار يقود فى النهاية الى النزاع المادى فالحروب تنشأ اولا فى عقول الناس .. وهذا يحتاج الى تدريب خاص – للامة جميعها – الا انه على كافة الأحوال ليس بقدر التدريب فى الثكنات العسكرية والتنظيمات السرية كما انه اقل تكلفة في الوصول الى اهدافه – فشهداء المسلمين فى ثلاث وعشرون سنة – بمكة و المدينة– من بداية الصدع بدين الإسلام لا يذكرون – عددا – فى مقابل ماقتل فى الفتنة زمن عثمان رضى الله عنه وما بعدها ، إلا أن المكاسب في الأخيرة تتضاءل صغارا أمام ما حققته الأولى .. ان الحوار والموت فى سبيله سوف يحيى الأمة برمتها ، بفتح أسلوب جديد لفك النزاعات هذه الصورة من الاستشهاد أى من أجل فكرة سامية تعطى للحياة عبر التاريخ وتثمر – ان كانت طيبة – كما حصل مع ادم الذى خلد القران موقفه إلى أن تقوم الساعة فأما جسده الترابي فرجع الى دورة الطبيعة واما موقفه فبقى خالدا[٢].

([١])طبائع الاستبداد – عبد الرحمن الكواكبي نقلا عن سيكولوجية العنف . ص ٦٠ د/ خالص جليى .

([*]) لو كانت (والاستشهاد في سبيل اقراره ..... الخ) لاصابت المعنى بوضوح وجلاء.

([٢])المرجع السابق ص ٦١ – ٦٢ بتصرف يسير .

قال تعالى " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون "[١].

ضرورة إطلاق حرية التفكير أمام جميع الأمة .

لأن التغير هو الوعاء الذي يحمل الفكرة وحرية التفكير تعنى فتح آفاق المعرفة ، تعنى الأذن بالوعي وإدراك المقام ألانسانى في الكون و مسؤليتة في الحياة. أنها تعنى "أن نفتح الباب لخير ما عندنا فنقبله ونتدارسه ونطوره ونجعله اكثر دقة وجمالا وتعبيرا عن الحق والخير والعدل ، أما كبت الناس فيعنى تدمير العقل والسماح بنشر الفساد وتعنى قتل روح الدين والتدين ، تعنى قفل أبواب المعرفة والاجتهاد ولا يقتل الفكرة إلا الصمت عليها أو خذلانها من الوصول للناس وكم من حق ورشد قتله الصامتون وكم من مظلمة قهرت الناس بسبب سكوت العارفين . والكبت والصمت عن التعبير عن الحق يلازم لحظات الانحطاط في إنسانية الإنسان ، وتردى مشاعره وموت ضميره .. والفكر الحى ينمو في الهواء الطلق والجهل يكبر ويسود وينتصر في أجواء الانغلاق والعفونة . "[٢]

وبدون حرية الفكر وحرية التعبير عنها ستنمو الجرثومة وينمو المرض ويتضخم حتى يأتي موعد الهلاك ". " أن مشكلة الإنسان الدائمة لا تنشا من وجود الاختلاف أو التنوع وانما تنشا من العجز عن إقامة نسق مشترك يجمع الناس ضمن دوائر ارتضوها , والحوار بين الإنسان وأخيه الإنسان من النوافذ الأساسية لصناعة المشتركات التي لا تنهض حياة اجتماعية سوية بدونها , فالحوار لا يدعو الآخر الي مغادرة موقعه الطبيعي وانما هو لاكتشاف المسافة المشتركة وبلورتها والانطلاق منها مجددا ومعا في النظر الي الأمور "[٣].

ولا يخاف أهل الفكر الحي ، واهل الحق على ما عندهم ، فالحق يجيء ويقبل والباطل يتراجع ويزهق فهذا وصفه الذي يلازمه , وهذه سنة الله في

([١])سورة آل عمران – الآية ١٦٩

([٢])رؤية فى الإصلاح والنهضة – محمد بن حامد الأحمرى– ص ٦٥-٦٦- بتصرف يسير – مجلة المنار الجديد العدد ١٧ – ١٤٢٢هـ– ٢٠٠٢ م – دار المنار الجديد للنشر والتوزيع – القاهرة

([٣])نظرات حول الوحدة والتعدد في الفكر الاسلامي المعاصر – محمد محفوظ – ص ٣٣ – مجلة الكلمة – العدد ٢١ – السنة الخامسة – ١٤١٩ هـ– ١٩٩٨م

عالم الأفكار , قال تعالى: " وقل جاء الحق وزهق الباطل أن الباطل كان زهوقا "[١].

من هذا المنطلق ندرك الحكمة في قوله تعالى "... ومن قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها و فكأنما أحيا الناس جميعا "[٢].

وندرك – أيضا – الآثار والأفكار البناءة للسلام وحرص الرسول صلى الله عليه وسلم أن يربى الأمة عليها حتى تكون خير أمة أخرجت للناس – بلغة العصر" أمة عظمى" .

ولا أدل علي حرص الرسول – صلي الله عليه وسلم – في تربية الأمة علي ثقافة السلام ونبذ العنف والقهر من حمايته لراس النفاق عبد الله بن أبى – لما قال : " ليخرجن الأعز منها الاذل " أنها الشكل الخارجي للجريمة (سب الرسول) أما أصلها وسببها فهو " فكرة العصبية " مهاجرين وانصار ، مدنيين ومكيين فالظرف الذي قيلت فيه حالة اختلاف بين مهاجرين وانصار .

ولندع كلامه يكشف عن جرثومة العصبية . لما تنادى المهاجرين يا معشر المهاجرين ، والأنصاري يا معشر الأنصار قال أبى : ثاورونا في بلادنا ، و الله ما مثلنا و جلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل : سمن كلبك يأكلك والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل وقال لمن عنده: هذا ما صنعتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم ..

قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله مر عباد بن بشر فليضرب عنقه فقال الرسول : فكيف إذا تحدث الناس يا عمر أن محمدا يقتل أصحابه ؟ لا ولكن ناد يا عمر بالرحيل .. فلما بلغ ذلك أبيا أتى إلى الرسول واعتذر وندم وحلف انه ما قال ذلك ! [٣]

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في رده على عمر – رضى الله عنه فقتله كان سيفتح بابا من الفتنة لا ينتهي .. قارن ذلك بمقتل عثمان رضى الله عنه والسادات رحمه الله وأثر ذلك على الأمة .

٥– التزام وسائل الإعلام وكل مراكز البحوث الاجتماعية وكافة الدوائر السياسية بالكف نهائيا عن وصف الحالات الإجرامية في مجتمعنا الإسلامي بأنها " إرهاب " لأنها وصفة دخيلة على الفكر الإسلامي , وهي

(١)سورة الإسراء الآية ٨١
(٢)سورة المائدة الآية ٣٢
(٣)تفسير القران العظيم .. ابن كثير . المجلد ٤ ص ٣٧٠

جرثومة خارجية تقصد إثارة الجسم ليهلك نفسه – حك الجلد ظنا انه يزيلها ، ثم يسيل الدم ، ثم يمزق اللحم إذا لم يتدخل الطبيب هذه الجرثومة بمثابة المنديل الأحمر الذي يلوح به الأسباني للثور الهائج في حلبة الصراع فيزداد هيجانه حتى يفقد توازنه فيترك المصارع – وهو الفاعل الحقيقى – ويستمر في الانشغال بالمنديل والهجوم عليه حتى تنهك قواه ، ويتركه المصارع فى هيجان ليلعب به ويلهو ولا يقتل الثور إلا إذا هدد حياة المصارع . هل وصلت الرسالة كما تصورها اللعبة ؟[١]

٦–إفساح المجال – بيد الأمة كلها – ومنح فرصة لأهل العدل في الأمة – مهما كان الموقع الذى يقف فيه لإيجاد نماذج للعدل في المجتمع لان سعيهم و حراكهم كفيل بالقضاء على معاول الهدم الاجتماعية " إن قدرة الجماعة على التفوق إنتاجيا وحضاريا تتوقف على توافق أفرادها وقيم الحق والعدل المجسدة للإرادة الإلهية العلوية في حين يؤدى تعارض الإراديتين إلى زلزلة حالة الاستقرار والتقدم من قواعدها[٢] .

٧– نشر الفكرة الدينية الأصلية النابعة من كلمة الوحي (القران والسنة الصحيحة) والمعارف المترتبة عليها ، لان الفكرة الحية هى التى تزيح الفكرة الميتة فـ" جاء الحق " تعنى في الوقت نفسه " زهق الباطل ," فهذه سنة إلهية في النفس الإنسانية مثلما هي سنة كونية في الليل والنهار .

أدعو أهل الرأي في أمة الإسلام إلى النظر في قاعدة فكرية أراها تحمل إطارا صالحا لجمع شتات الأمة ودرء أسباب التنازع بين أفرادها , إنها فكرة – أراها – تنويرية لامتنا تكشف سبيلا للخروج من النفق المظلم .

وهذه هى القاعدة : معرفة علوم الوحي وما ينبنى عليها

فهي جامعة بين الأصل حيا و الفرع مثمرا ، وجامعة للقديم النافع والجديد الملائم للحياة المعاصرة ، وهى ضابطة للقديم – التقديس وعدمه – ، الجديد – النافع والضار .

إنها – كما أري– قاتلة للصراع النفسي المفتعل والتمزق الاجتماعي الذى يلف الأمة بثوب من اليأس والإحباط والتردى في مهاوي الجهل والظلام في صورة فرق و جماعات متصارعة , وعلام يتصارعون إذا كانوا

(١)المثل مستمد من العلامة مالك بن نبى . الصراع الفكري فى البلاد المستعمرة . ص ٢٩– دار الفكر ط ٣ معادة ٢٠٠٠
(٢)جدلية التنمية (حركة التجديد الحضاري بين الاتجاهين الإسلامي والعلماني د/ لؤى صافى . ص ٩٠ بحث منشور بمجلة منبر الحوار العدد ٣٤ س ٩ دار الكوثر – بيروت .

جميعا يعملون لان يحيا الناس ؟ وكيف نصدقهم والناس يقتلون – جسدا وروحا ، إرادة وعقلا – بأيديهم جميعا ؟ إن الحقيقة معهم جميعا أي إن كل واحد منهم يملك جزء من الحقيقة وليس كل الحقيقة فلنجمع الكل لتجتمع الحقيقة فيسود بها سلام يعم العالمين .

نتائج البحث

على قدر ما يسر الله تعالى من أسباب العلم توصل البحث إلى النتائج التالية :

١- قدم البحث تعريفا للإرهاب في المفهوم الإسلامي وكشف عن الاختلاف التام بين مفهوم " الإرهاب " في الإسلام ، والمفهوم المتداول – الآن – في الأوساط الفكرية المعاصرة .

٢- أعداد القوة في الإسلام الأصل فيه منع الغير عن الضرر تحقيقا للأمن والسلام.

٣- خطأ وصف العمليات الإجرامية من قتل وغيره بـ " الإرهاب " وان جهود الأمة في مواجهة الإرهاب – حاليا- تصب في خدمة الآخر " العدو " وتحقيق أهدافه ...

٤- أسباب العنف كلها تنتهي إلى الرغبة في التحكم والتسلط على الآخر واستعباده .

٥- إرادة الأنا في تغيير نفسه تحقيقا للعدل بين أبناء الأمة هى أساس القضاء على العنف بكل صوره وأشكاله .

٦- كشف البحث عن دور الخطاب الديني الإسلامي – بوسائله المتنوعة – في إرساء الحقيقة الإسلامية ونشرها بين الجماهير فهذه اقرب طريق للقضاء علي العنف .

٧- قدم البحث قاعدة معرفية جديدة "معرفة علوم الوحي وما ينبنى عليها" أراها مفيدة وهي تضبط عمليات التربية والتعلم ونشر الثقافة البناءة لحماية الأمة من التنازع الفكري و المذهبي و المادي .

واخيرا أسال الله تعالى أن يهيئ لامتنا أهل رشد يأخذون بيدها إلى سلام على الأرض وسلام في السماء .

وصلي الله علي الرحمة المهداة , محمد بن عبد الله , وعلي اله وصحبه , ومن اهتدي بهداه .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مراجع البحث

١- القران الكريم .

٢- الإرهاب بين الفرض والرفض- د/ عبد الحي الفرماوي – دار البشير للثقافة والعلوم .

٣-الإرهاب : التهديد والرد عليه – اريك موريس أخر – ترجمة د/ احمد حمدى محمود – الهيئة المصرية العامة للكتاب . ط مكتبة الأسرة ٢٠٠١ .

٤-الإرهاب في المجتمع المعاصر . أسبابه وعلاجه من منظور الإسلام رسالة تخصص (ماجستير) مخطوطة – أعداد محروس محمد محروس كلية الدعوة الإسلامية- بالقاهرة – جامعة الأزهر .

٥- تاج العروس – الزبيدى – دار ليبيا للنشر والتوزيع – بنغازى .

٦- السيرة النبوية " لابن هشام – مكتبة الكليات الأزهرية " بدون تاريخ .

٧- سيكولوجية العنف واستراتيجية الحل السلمى – د/ خالص جلبى – دار الفكر ط سنة ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م .

٨- شروط النهضة .. مالك بن نبى .. ترجمة د/ عبد الصبور شاهين واخر- دار الفكر – سنة ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م.

٩- صحيح مسلم بشرح الإمام النووى – المطبعة المصرية ومكتبتها.

١٠- فتح البارى بشرح صحيح البخارى – دار الفكر لبنان ١٤١٦هـ – ١٩٩٦ م.

١١- في ظلال القران – سيد قطب – بيروت ١٣٩٣ هـ- ١٩٧٣ م .

١٢- كيف نتعامل مع القران العظيم – د/ يوسف القرضاوي – طبعة ١ – دار الشروق مصر ١٤١٩هـ ١٩٩٩ م .

١٣- لسان العرب . ابن منظور دار لسان العرب – بيروت.

١٤- مجلة الديمقراطية ع٥- سنة ٢٠٠٢ م – فصلية – إصدار مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية – مؤسسة الأهرام .

١٥- مجلة الكلمة – عدد ٢٣ – إصدار منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث – قبرص – سنة ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩ م .

١٦- مجلة المنار الجديد –إصدار دار المنار الجديد للنشر والتوزيع بالقاهرة .

١٧- مجلة وجهات نظر – ع ٣٤ – شهرية – الشركة المصرية للنشر العربي والدولي – مطابع الشروق – مصر.

١٨- مقدمات للنهوض بالعمل الدعوى – د/ عبد الكريم بكار – ط ١ – دار القلم – دمشق – ١٤٢١ هـ- ١٩٩٩م

١٩- معجم مقاييس اللغة (بن فارس – تح عبد السلام هارون – الحلبى – القاهرة.

٢٠- المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية – مطبعة مصر.